﴿۞إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص: 76 - 77]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

قصّة قارون عبرةٌ للبغاة، ولمَنْ سار في طريقهم

بعد أن بيَّن سبحانه عجزَ أهلِ الضَّلالة يومَ القيامة، وما يَلقَونه من الإهانة والاحتقار، ومناداتهم على رؤوس الأشهاد بما يفضحهم، ويُبَيِّن لهم سوء مَغَبَّتِهم. أعْقبَه بقصَّةِ قارونَ لبيانِ عاقبةِ الكافرين والمُتَجَبِّرين في الدنيا والآخرة، فقد أهلكه الله بالخسف والزَّلْزَلَة، حتّى أصبح مَثَلًا يُضْرَب للنّاس في ظلمه وعُتوِّه، ويَسْتَبينُ لهم به سوءُ عاقبةِ البُغاة، وما يكون لهم منَ النَّكال والوَبال في الدّنيا والآخرة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾: أصل (بغي) يدلُّ على طلب الشَّيء. والبغي: التَّعدّي، وطلب تجاوز الاقتصاد فيما يُتَحرَّى، سواءٌ جاوَزَه أم لم يجاوِزْه وأكثر استعمال البَغْي في الأشياء المذمومة، لا سيَّما إذا أُطْلِقَ، نحو: زيد بغى. وبغى: تكبَّر، وذلك لتجاوزه منزلتَه إلى ما ليس له، ويستعمل ذلك في أيِّ أمرٍ كان. وكلُّ مجاوزةٍ في الحدِّ وإفراطٍ على المقدار الّذي هو حدُّ الشَّيء، فهو بغي[2]. ومنه قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ

(1) المَراغيّ، تفسير القرآن: 20/ 92.

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح، والراغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، وابن منظور، لسان العرب: (بغي).

قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾؛ أي: فطلب الفضل عليهم، وأن يكونوا تحت أمره، أو تكبَّر عليهم أو ظلمهم[1].

2) ﴿ٱلۡكُنُوزِ﴾: أصل (كنز) يدلُّ على تجمُّع في شيء. والكَنْز: جَعْلُ المالِ بعضه على بعضٍ وحفظُه، كالمال المدفون وغيرِه إذا أُحرِز في وعاءٍ، وقد كَنَز الإنسانُ مالًا يَكْنِزه وأكْنَزْتُه. وأصله من كنَزت التَّمر في الوعاء. ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ [التوبة: 34]؛ يَدَّخِرونها. واكتنز الشَّيءُ: اجتمع وامتلأ[2]. وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾؛ أي: الأموال المُدَّخَرة[3].

3) ﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾: أصل (فتح) يدلُّ على خلاف الإغلاق[4]. فالفتح: نقيض الإغلاق، وإزالة الإشكال، وفَتَحْتُ الباب أفتحُه فتحًا فانْفَتَحَ. وافْتَتَحَه وفَتَّحه، فانْفَتَحَ وتَفَتَّح. وفاتحة كلِّ شيء: أوَّلُه ومَبدؤه الّذي يُفتَح به ما بعده، يقال: افتتحَ فلانٌ كذا: إذا ابتدأ به. وفتح عليه كذا: إذا أعْلَمَه ووقَّفَه عليه. والمِفتَح والمفتاح: مفتاح الباب، وكلُّ ما يُفتَح به الشَّيءُ وكلُّ مُسْتَغْلِق، وجمعه: مفاتيح ومَفاتِح. وجمع المفتاح الّذي يُفتح به المِغلاق: مفاتيح، وجمع المَفتَح الّذي هو الخِزانة: المفاتح. وقال الله ﷻ: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾؛ أي: الآلة الّتي يُفتح بها، وقيل: خزائنه وما فيها من مال تنوء به العصبة؛ أي: تُميلُهم من ثِقَلِها. والأوَّل أبلغ؛ لأنَّه إذا كثُرت المفاتيح، كثر المفتوح، فهو أبلغ[5].

4) ﴿لَتَنُوٓأُ﴾: أصل (نوء) يدلُّ على انجذاب الشَّيء إلى أسفلَ بضغطٍ من ثِقَلِه[6]. ناء بجانبه ينوء نوءًا؛ أي: نهض بجهد ومشقَّة. وناء: سقط، فهو من الأضداد. يقال: ناء بالحِمْل، إذا نهض به مُثْقَلًا؛ وناء به الحِمْل، إذا أثقله. وأناءه الحِمْل: أثقله. وأناأتُه:

(1) البَيْضاوِيّ، أنوار التّنزيل: 4/ 185.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، والراغب، المفردات، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والجوهريّ، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (كنز).
(3) البَيْضاوِيّ، أنوار التّنزيل: 4/ 185.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فتح).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والراغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، والخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب: (فتح).
(6) محمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (نوء).

أنهضته. قال تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾؛ نَوْءُها بالعصبة أنْ تُثْقِلهم. والمعنى: إنَّ مفاتحه لتنوء بالعُصْبة؛ أي تُميلُهم من ثِقَلِها[1].

5) ﴿بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾: أصل (عصب) يدلُّ على ربط شيء بشيء مستطيلًا أو مستديرًا. العَصَبة: واحد العَصَب والأعصاب، وهي أطناب المفاصل الّتي تلائم بينها وتشدُّها، تقول: عَصِب اللَّحمُ؛ أي: كثُر عصبه. وانعصب: اشتدَّ، وعصَب الشَّيءَ يعصِبه عَصبًا: شدَّه. والمعصوب: الشَّديد اكتناز اللَّحم، وكذا المربوط بالعَصَب المنزوع من الحيوان، ثم يقال لكلِّ شدٍّ: عَصْب. وعَصَبَ رأسَه، وعصَّبه تعصيبًا: شدَّه، واسم ما شُدَّ به: العِصابة، وتعصَّب: شدَّ العِصابة. والعِصابة: الجماعة من النّاس والخيل والطَّير. والعُصْبَة: جماعة مُتَعَصِّبة متعاضدة، وهم ما بين العشرة إلى الأربعين[2].

ورد في القرآن الكريم: ﴿وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ [يوسف: 14]؛ أي: مجتمعة أقوياء متعاضِدَة[3]. وقوله تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾؛ والمراد بالعُصبة: الجماعة الّتي يَتعَصَّب بعضُها لبعض[4].

6) ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ﴾: أصل (فرح) يدلُّ على خلاف الحزن[5]. فالفرح: نقيض الحزن، وهو أن يجد في القلب خِفَّة، وانشراحَ صدرٍ بلذَّة عاجلة، يقال: فرح به فرحًا؛ أي سُرَّ، ورجل فَرِحٌ وفرحانُ من قوم فَراحَى وفَرْحَى، وامرأة فرِحة وفَرْحَى وفرحانة. وأكثر ما يكون ذلك في اللَّذات البدنيَّة الدُّنيويَّة. والفرح أيضا: البَطَر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾؛ أي: لا تفرح ولا تأشر بكثرة المال في الدُّنيا؛ لأنَّ الّذي يفرح بالمال يصرفه في غير أمر الآخرة، ولأنَّه إذا سُرَّ به ربما أشِر. والمِفْراح: الّذي يفرح كلَّما سرَّه الدَّهر، وهو الكثير الفرح. وقد أفرحه وفرَّحه: سَرَّه[6].

(1) الجوهريّ، الصحاح، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (نوء).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والجوهريّ، الصحاح، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، والراغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، وابن منظور، لسان العرب: (عصب).
(3) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ: (عصب).
(4) الشوكاني، فتح القدير: 4/ 215.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فرح).
(6) الجوهريّ، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب والراغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (فرح).

7) ﴿ٱلدَّارَ﴾: أصل (دور) يدلُّ على إحداق الشَّيء بالشَّيء من حوالَيه[1]. ومنه الدّار: وهي اسم جامع للعَرْصة والبناء والمَحِلَّة، وكلُّ موضع حلَّ به قوم فهو دار، والدار أيضا المَنزِل اعتبارًا بدورانها الّذي لها بالحائط، ثم تُسمَّى البلدة دارًا، والصِّقع دارًا، والدُّنيا كما هي دارًا، والدّار الدُّنيا والدّار الآخرة. وجمع القلة: أدْوُر وأدْؤر ودِيران، وجمع الكثرة ديار ودور. يقال: دارَ الشَّيء يدور دورًا ودَوَرانًا، واستدار، وأداره غيرُه ودوَّره، وتدويرُ الشَّيء جعله مُدَوَّرًا[2].

8) ﴿نَصِيبَكَ﴾: أصل (نصب) يَدُلُّ عَلَى إقامَةِ شَيْءٍ وإهْدافٍ في اسْتِواءٍ[3]. ونَصْبُ الشَّيءِ: مصدر نَصَبْتُ الشَّيءَ، إذا أقمتُه ووضعتُه وضْعًا ناتئًا قائمًا منتصبًا، كنَصْبِ الرُّمح. والنَّصيب: الحجارة تُنصَب على الشَّيء، فتُعبَد من دون الله، وجمعه نصائب ونُصُب، وكان للعرب حجارةٌ تعبدُها وتذبح عليها، وقد يقال في جمعها أيضا: الأنصاب. والنَّصيب: الحظُّ المنصوب من كلِّ شيء؛ أي: المعين، والجمع: أنْصِبَةٌ وأنْصِباءُ[4]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾؛ أي: "لا تُضَيِّع حظَّك من دنياك في تمَتُّعِك بالحلال وطلبِك إيّاه"[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يخبرنا البيان القرآنيّ في هاتين الآيتين عن حال قارون الّذي علا وتكبَّر على قومه بالمال والثَّراء الكثير الّذي أعطاه الله إيّاه، وعن موقف قومه في بني إسرائيل منه، وعن نصحهم له فيقول: إنَّ قارون كان من عشيرة قوم موسى عليه السلام حيث كان ابنَ عمِّه لأبيه وأُمِّه،

الغنى وعز السُّلطان يصيبان الإنسان بالطُّغيان إلا مَنْ عصمه الرَّحمن

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دور).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والجوهريّ، الصحاح، والراغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ، وابن منظور، لسان العرب: (دور).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نصب).
(4) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، والجوهريّ، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (نصب).
(5) القرطبيّ، أحكام القرآن: 13/ 314.

لكنَّه قد تجاوز حدَّه في الكِبْر والتَّجبُّر عليهم؛ لِما أعطيناه من الأموال الوفيرة، والكنوز الكثيرة ما يَثْقُلُ على الجماعة أصحاب القوَّة مِنَ الرِّجال الأشدّاء حَمْلُ مفاتحها فضلًا عَنْ حمل الخزائن والأموال، لكنَّه لم يشكر الله تعالى على هذه النِّعمة، فقال له الصّالحون مِنْ قومه: لا تبطُرْ ولا تأشِرْ بكثرة المال والأولاد، وكن من الشّاكرين الله على إنعامه وإحسانه؛ لأنَّه سبحانه لا يحب البَطِرين الأشِرين الّذين لا يشكرونه على ما أعطاهم من الفضل والنِّعم، واطلب فيما أعطاك الله من الأموال والخيرات رضى الله وثوابه في الدّار الآخرة، وذلك بفعل الطّاعات وترك المنكرات، ولا تضيِّعْ حظَّك كذلك من الدُّنيا في تمتُّعك بالحلال وطلبك إيّاه، وأحسن إلى عباد الله بالصَّدقة وحسن اللِّقاء وطلاقة الوجه كما أحسن الله إليك بنعمته وفضله عليك، ولا تطلب بهذا الفضل من المال والثَّراء البغيَ والتطاولَ على النّاس متجاوزًا بذلك حدود الله، إنَّ الله لا يرضى عن المجرمين الباغين في الأرض لسوء أفعالهم وشدَّة طغيانهم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علَّة فصل الآية عن سابقتها:

بيان أوصاف المشركين المتكبّرين

فُصِل قوله تعالى: ﴿*إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ عن سابقه؛ لأنَّه استئناف ابتدائيٌّ جاء لذكر قصَّةٍ ضُرِبَتْ مثلًا لحال بعض كفّار مكَّة - وهُم سادتهم - مثل: الوليدِ بنِ المغيرةِ، وأبي جهلٍ بنِ هشام، ولها مزيد تعلُّق بجملة: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ [القصص: 60] إلى قوله: ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾ [القصص: 61] ولهذه القصَّة اتّصالٌ بقصَّة جند فرعون المنتهية عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: 46]، كما أنَّها معالِجَةٌ

(1) البَيْضاوِيّ، أنوار التّنزيل: 4/ 185.

كذلك لفتنة طغيانِ المالِ وسَكْرة الثَّراء والّتي هي بقَصِّ قصّة مفتونٍ أعمتْهُ ثروتُه، واغترَّ ببَهْرَجِها، وحملتْهُ على البغي، وأصَمَّتْ سمعَه عن نصحِ أهلِ العِلم، حتَّى قادتْهُ إلى حَتْفِ الهلكة؛ فكان مضربَ المَثَل لمَن أخْسَرَهُ مالُه الخسرانَ المبينَ[1].

نكتة تصدير الجملة بالتَّوكيد:

افتتاح الجملة بحرف التَّوكيد يجوز أن يكون لإفادة تأكيد خبر ﴿*إِنَّ﴾، ويجوز أن تكون ﴿*إِنَّ﴾ لمجرَّد الاهتمام بالخبر، ومناط الاهتمام هو مجموع ما تضمَّنته القصَّة مِن العِبَر الّتي منها أنَّه من قوم موسى عليه السلام، فصار عدوًّا له ولأتباعه، فَأَمْرُ قارون أغْرَبُ مِن أمر فرعون نفسِه[2].

اهتمامٌ بتوكيد قصّة متكبّر جعله الله عبرةً عبر الزَّمن

نكتة التَّعريف بالعَلَميَّة:

أوْثَرَ التَّعريفُ بالعَلَميَّة في قوله تعالى: ﴿*إِنَّ قَٰرُونَ﴾ لإحضاره في الذِّهن بشخصه وذاته، فالعَلَم يدلُّ على الذّات الموضوع لها الاسم، فإذا قيل: جاء زيد. فقد أُحضِر زيدٌ بصورته الدالِّ عليها العَلَمُ في الذِّهن[3].

استحضار الصّورة، وبيان الأهمّيّة

نكتة الإخبار عن انتساب قارون لقوم موسى:

أخبر سبحانه عن قارون بأنَّه: ﴿كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ وعُدِل عن أن يقال: (كان من بني إسرائيل)؛ لما في إضافة كلمة ﴿قَوْمِ﴾ إلى ﴿مُوسَىٰ﴾ مِن الإيماء إلى أنَّ لقارون اتصالًا خاصًّا بموسى عليه السلام فهو اتّصال القرابة؛ إذ إنَّه كان ابنَ عمِّه؛ وعداوتُه لموسى عليه السلام ليست كعداوة غيره من النّاس[4].

أُضيف قارون لموسى؛ لبيان ما بينهما من قرابة

ففي حين أنَّه كان متوقَّعًا مِن قريب موسى عليه السلام أن يكون من أوَّل

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 174، 175.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 175 - 176.
(3) القَزْوِينيّ، بُغْيةُ الإيضاح: 1/ 78.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 176.

المؤمنين به، والموالين له حصل ما هو نقيض ذلك، وفي هذا إيماءٌ لما حصل مع النَّبيّ ﷺ من ذوي قُرْباه؛ كعمِّه أبي لهب لعنه الله. فلم تنفع قارونَ قرابتُه لنبيِّ الله موسى عليه السلام إذ كفر قارونُ بالله وعادى رسوله عليه السلام.

وفي هذا تهديد لمَن كفر بالنَّبيّ ﷺ من أقاربه. وفيه كذلك تسلية للنَّبيّ ﷺ لئلّا يحزن لكفر عمٍّ أو قريب، فإنَّ ﴿قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ وكفر به، فإنَّك ﴿لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

معنى ﴿مِن﴾ ودلالتها في ﴿مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾:

بيان أصل نسبة قـــارون ذي الغواية

الأصل في معنى ﴿مِن﴾ أنَّه موضوع للدَّلالة على ابتداء الغاية[1]. وفي قوله تعالى عن قارون إنَّه كان ﴿مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ فيعنى أنَّ ابتداء نَسَبِ قارونَ كان قومَ موسى، فلم يكن منتسبًا إليهم، بل كان واحدًا منهم، ففي ﴿مِن﴾ هنا معنى التَّبعيض؛ أي: أنَّ قارون كان بعضَ قوم موسى عليه السلام، ولهذا قيل: إنَّ "في كلِّ تبعيض معنى الابتداء"[2].

نوع الإضافة ودلالتها في ﴿قَوْمِ مُوسَىٰ﴾:

إفادة التّعريف والتّشريف

الإضافة في قوله تعالى: ﴿قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ إضافة محضة على تقدير اللّام؛ أي: (قوم لموسى) وقد أفادت المضافَ التَّعريفَ، وفيها دلالة على أنَّ قوم النَّبيّ يُنسَبون له.

معنى الفاء ودلالتها في ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾:

بيان عظيم الجرم، وإثارة التَّعجيب

جاءت الفاء في قوله تعالى: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ اعتراضيَّة؛ لإفادة التَّرتيب والتَّعقيب؛ حيث لم يَلْبَثْ قارونُ أنْ بَطَرَ النِّعمة، واجترأ على ذوي قرابته، فالجملة جاءت للتَّعجيب من بغي أحد على قومه[3]

(1) سِيبَوَيْهِ، الكتاب: 4/ 224، والزَّمَخْشَريّ، المُفَصَّل، ص: 379، وابن يعيش، شرح المُفَصَّل: 4/ 459، والسّامُرّائيّ، معاني النّحو: 3/ 75.
(2) ابن يعيش، شرح المُفَصَّل: 4/ 459.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 176.

والأصل أن يُؤازِر الإنسان قرابته لا سيَّما إن كانوا على الجادَّة، أو كان لهم شأنٌ رفيعٌ، ولا شرفَ أرفعُ ولا أعظمُ مِن شرف النُّبوة؛ فالظُّلم حين يأتي مِن ذوي القربى يكون أشدَّ وقعًا في النَّفس كما قال طَرَفَةُ:

وظلم ذوي القربى أشدُّ مَضاضَةً*** على المرء من وقْعِ الحُسام المهنَّد[1]

دلالة التَّعبير بالبَغْيِ مادةً وصيغةً:

البَغْيُ مجاوَزَةُ الحدّ، والتَّرقي في الذُّنوب إلى ما هو أشدّ

البَغْيُ: طَلَبُ تجاوُزِ الاقتصادِ فيما يُتحرَّى، سواءٌ تَجاوَزَهُ أمْ لم يَتَجاوَزْهُ، فتارة يعتبر في القَدْرِ الّذي هو الكمِّيَّة، وتارة يعتبر في الوصف الّذي هو الكيفيَّة، يقال: بَغَيتُ الشَّيءَ: إذا طَلَبْتُ أكثرَ ما يجب[2]. والبَغْيُ على أمَّةٍ من النّاس: الاعتداء والاستخفاف بحقوقها، وأوَّل ذلك خَرْقُ شريعتِها، وهو ما قام به قارون مع قومه؛ حيث جاوز الحدَّ في التَّجبُّر عليهم والتَّكبُّر في التَّعامل معه، كما أنَّه طلب التَّفضُّل عليهم كذلك، وسعى لأن يكونوا تحت أمره، وحسد موسى عليه السلام على رسالته، وهارونَ على إمامته، وفي الإخبار عنه بأنَّه مِن قوم موسى عليه السلام تمهيد للكناية بهذا الخبر عن إرادة التَّلميح بالنَّظير فيما تعرَّض له سيِّدُنا رسول الله ﷺ من بَغْيِ بعضِ قرابتِه المشركين عليه[3].

معنى (على) ودلالتها في ﴿عَلَيْهِمْ﴾:

بيان تمادي قارونَ في الغيّ

الأصل في معنى (على) أنَّه موضوع للدَّلالة على الاستعلاء حقيقيًّا كان أم مجازيًّا، ولفظها يدلُّ على ذلك، فهي من العُلوّ[4]. وقد جاءت هنا؛ لتفيد الاستعلاء المجازيّ؛ حيث إنَّ قارون كان

(1) طَرَفَةُ بنُ العبد، ديوانه، ص: 27.
(2) الرّاغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص: 136.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 176.
(4) سِيبَوَيْهِ، الكتاب: 4/ 230، والزَّمَخْشَريّ، المُفَصَّل، ص: 384، وابن يعيش، شرح المُفَصَّل: 4/ 497، والسّامُرّائيّ، معاني النّحو: 3/ 47.

يطلب العلوَّ على قومه؛ فاستطال عليهم بكثرة ماله وولده، وحقَّر من شأنهم، وزاد عليهم في الثِّياب شبرًا، وطلب زوال نعمهم؛ ليكونوا دائمًا دونه في المكانة، وليبقى هو الأعلى شأنًا، والأرفعَ منزلةً.

معنى الواو ودلالتها في ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ﴾:

الواو استئنافيّة؛ لإفادة المغايرة

الواو في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ﴾ استئنافيَّة؛ وقد أفاد الاستئناف المغايرة؛ حيث انتقل من الحديث عن قارون وقرابته من موسى ﷺ إلى الحديث عن ما أوتي من الكنوز العظيمة والأموال الطّائلة؛ فهالَتْهُ تلك الثَّروة، واغترَّ ببريق تمكينها، وتملَّكت قلبَه وفكرَه وهمَّه؛ إذْ كانت منتهى علمِه ومحلَّ فرحه؛ فقاده ذلك التعلُّقُ إلى نسيانِ حقيقة الدُّنيا وغياب حساب الآخرة عن تفكيره.

دلالة إسناد فعل الإيتاء لضمير العظَمَة:

الدّلالة على ذي القدرة في العطاء

أُسند فعل الإيتاء لنون العظَمَة في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ﴾؛ لتعظيم معنى الإيتاء. فالمال في الأصل لله سبحانه، وقد آتى اللّهُ سبحانه قارونَ هذه الكنوزَ بعلم وحكمة، وللدَّلالة على أنَّه ما كان ليقدر أحدٌ على منحِ قارون هذا المالَ العظيمَ سوى اللهِ تعالى[1]. وهذا تمهيد للرَّدّ على ما ادَّعاه قارونُ بعدُ عندما قال لناصحيه: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص: 78]، ولبيان شناعة ما تكلَّم به.

سرُّ تسمية أموال قارون بالكنوز:

المال المكنوز هو الّذي لم يُعرف حقُّ الله فيه؛ ولم يؤدَّ إلى مستحقِّيه

جاء التَّعبير بالكنوز في قوله سبحانه: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ﴾؛ لبيان أنَّ أموال قارون كانت ممّا لم يُرعَ حقُّ الله سبحانه فيه، إذ كان ممتنعًا عن أداء الزَّكاة، ولم تكن أموالُه مسخَّرة في الخير، بل سخَّرها في الصَّدِّ عن سبيل الله، ومَنْعِ وصول دعوة الحقِّ إلى النّاس، فقد كنَزَ الذَّهبَ والفضَّة ولم ينفقهما في سبيل الله، فله

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 323.

العذاب الأليم. فالكنوز هي الأموال المدَّخرة، فهو مجاز بجعل المدَّخر كالمدفون إن كان الكنز مخصوصًا به[1].

معنى ﴿مِنَ﴾ ودلالتها في ﴿مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾:

إنَّ الكنوز هي مبتدأ الإيتاء

الأصل في معنى ﴿مِنَ﴾ أنَّه موضوع للدَّلالة على ابتداء الغاية[2]؛ وقوله سبحانه: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾؛ أي: أنَّ ابتداءَ الإيتاءِ هو الكنوزُ. وقد دلَّ ذلك على كثرة ما أوتي قارون من المال ووَفْرَته، حتَّى كأنَّه لم يَكُنْ فقيرًا يومًا، ويؤيِّد هذا قوله تعالى بعده: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾.

معنى (أل) ودلالتها في: ﴿ٱلْكُنُوزِ﴾:

(أل) جنسيَّة تفيد الاستغراق، وقد دلَّت على فظاعة البخل عن الإنفاق

جاءت (أل) في قوله تعالى: ﴿ٱلْكُنُوزِ﴾ جنسيَّة لإفادة الاستغراق؛ أي أنَّ الله سبحانه أعطى قارون من كلِّ صنوف المال؛ فكان لزامًا عليه شكر المنعِم الجليل الّذي تفضَّل عليه بهذه النِّعم الكثيرة، وإنفاقها في وجوه البرِّ والإحسان؛ ليكونَ له زادًا ينعم بخيره يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى اللّهَ بقلبٍ سليم، دون أنْ يكونَ هذا البرُّ مانعًا من الاستمتاع بما أحلَّ الله من طيّباتِ الدُّنيا الّتي تَغدو باحتسابِها عند اللّهِ حسناتٍ يُثابُ عليها، لكنَّه آثر الكفران والجحود والبطر والإفساد.

سرّ ذكر الكنوز والمفاتح بلفظ الجمع:

بيان العطاء الإلهيّ العظيم الّذي لا يُحَدُّ ولا يُعَدّ

جاء لفظ ﴿ٱلْكُنُوزِ﴾، وكذلك لفظ ﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾ بصيغة الجمع مبالغةً في الكثرة التي يحملهما هذان اللفظان[3]، وهذه المبالغة في القرآن من أحسن المبالغات وأعجبها عند الحذّاق وهي أن يُتَقَصَّى جميعُ ما يدلُّ على الكثرة (كالكنوز والمفاتح والعُصْبة)، ووصف ما

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 323، والآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 316.
(2) سِيبَوَيْهِ، الكتاب: 4/ 224، والزَّمَخْشَريّ، المُفَصَّل، ص: 379، وابن يعيش، شرح المُفَصَّل: 4/ 459، والسّامُرّائيّ، معاني النّحو: 3/ 75.
(3) الزَّمَخْشَريّ، الكشّاف 10/ 430.

يتعلَّق بما يملكه بالنَّوء أي ثِقَل المفاتح التي لا تنهض بها الجماعة إلا في جَهْدٍ ومشقّة[1].

معنى ﴿مَآ﴾ ودلالتها في ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾:

﴿مَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ موصولة في موضع المفعول الثّاني لـ(آتَيْناه)، و﴿إِنَّ﴾ وما في حيّزها إلى قوله: ﴿أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ﴾ صِلَتُها، وإنَّما وُصِلت بـ﴿إِنَّ﴾ وكُسِرت؛ لأنَّ ﴿مَآ﴾ الموصولة توصَل بالجملتين المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، ولا اختصاص لها بأحدهما[2]. و﴿مَآ﴾ وصِلَتُها صفة للكنوز؛ أي إنَّ الله ﷻ أعطى قارون مِن الأموالِ المدَّخَرةِ الشَّيءَ الكثيرَ الّذي يثقل حَمْلُ مفاتيحِ خزائنِه على العددِ الكثيرِ من أقْوياءِ النّاس[3]. وإنَّما وُصِفت الكنوز بهذا الوصف للمبالغة في عِظَمها، ولتذهب النُّفوس في تصوُّرِها كلَّ مذهب.

عِـظَـم العطاء الإلهي الّذي كان لقارون

نكتة توكيد الجملة:

جاءت ﴿إِنَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ﴾ مؤكّدة لنفي الشَّكّ في الخبر المستَغرَب؛ ففي المبالغة بالتَّعبير بالكنوز والمفاتح والعُصبة الموصوفة ما يدلُّ على أنَّ قارون أوتي مِن ذلك ما لم يؤتَه أحدٌ ممَّن هو في عداده، وكلُّ ذلك ممّا تستبعده العقول؛ فلذلك وقع التَّأكيد للدَّلالة على أنَّ خزائن قارون كانت بهذه الضَّخامة المذكورة في الآية حتَّى إنَّه لَيَصعب حملُ مفاتح هذه الخزائن على جماعة مِن الأقوياء؛ ممّا يدلُّ على عِظَمِها وعِظَمِ ما تحويه؛ فجاء التَّوكيد لنفي الشَّكّ أو التَّردُّد الّذي قد يُثار في نفس السّامع[4].

بـيـان ضـخـامـة ثروة قارون

فائدة ذِكر المفاتح دون الخزائن:

في ذِكر المفاتح دون الخزائن في قوله تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ

(1) الرّازي، مختار الصّحاح، ص: 321، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 380.
(2) المنتجب الهمداني، الكتاب الفريد: 5/ 149، والسّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 8/ 692، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 176.
(3) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 10/ 384، والهرريّ، الحدائق: 21/ 287.
(4) البِقاعيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 14/ 350.

لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾ مبالغة في بيان ما كانت عليه هذه الخزائن مِن الضَّخامة، وما تحويه من الأموال الطّائلة، فإذا كانت مفاتح خزائن أمواله لتُثْقِلُ الجماعةَ القويَّةَ عن حَمْلِها، فما ظنُّك بالخزائن[1]؟!.

في ذكـر المفاتح اسـتـدلالٌ على عِـظَـم الخزائن بطريق الأَوْلَى

وفي إسناد الفعل إلى المفاتح - وهي المداخل إلى هذه الأموال - وجَعْلِها تنوء بالعُصبة أولي القوّة إشارةٌ إلى من قام على هذه الكنوز مِن قوىً شديدةٍ ذاتِ بأسٍ مِنَ الخَزَنَة والحَرّاس الأقوياء، حتى إنَّ هذه المفاتح الّتي هي المداخل الّتي يُدْخَل منها على هذا المال الكثير لَتَنوءُ وتَثْقُل عن الحَمْلِ من قِبَلِ هذه المجموعات القويّة من الخَزَنَة والحرّاس[2].

دلالة مجيء المفاتح جمعًا مضافًا لضمير قارون:

جاءت المفاتح جمعًا في قوله تعالى: ﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾ لإفادة معنى الكثرة مبالغةً فيما أُوْتِيَه قارونُ من الأموال، فقوله سبحانه: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾؛ أي: مفاتح صناديقه، فهو على تقدير مضاف. أو الإضافة لأدنى ملابَسَة[3]. ويُلمَح من إضافة المفاتح إلى ضمير قارون بيان شِدَّة اتِّصالها به، وملازمته إيّاها، فكأنَّه كان يصحبها معه حيثما ولَّى وجهه، مُفتخرًا على قومه بها، ضِنّينًا بما حَوَته الخزائن من الكنوز، خائفًا أن تُفتَح في غيبته!.

إلمـاح لـشـدَّة الاتِّـصـال والملازَمة بين ذكر المفاتح وعظم الكنوز

معنى اللّام ودلالتها في ﴿لَتَنُوٓأُ﴾:

اللّام في قوله: ﴿لَتَنُوٓأُ﴾ هي الّتي تُسَمَّى اللّامَ المزحلَقة[4]؛ وقد جاءت لزيادة تأكيدِ أنَّ خزائنَ قارونَ كانت بهذه الضَّخامة المذكورة في الآية حتى إنَّه ليصعب حملها على جماعة مِن الأقوياء الأشدّاء؛ ممّا يدلُّ على عظمتها وعظمة ما تحويه؛ وقد جاء التَّوكيد بعد

نفي الشَّكِّ عن ضخامة ما آتاه الله لقارون

(1) السَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 623.
(2) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآني: 10/ 384.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 316.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 374، ومحمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 292.

التَّوكيد لنفي الشَّكِّ أو التَّردُّد الّذي قد يثار في نفس السّامع حول كيفية حدوث شيء كهذا، فكأنَّ السّامع قد نُزِّل منزلة المنكِر أو الشّاكِّ؛ نَظَرًا لغرابة الخبر المَسوق في الآية الكريمة، فَحَسُنَ عند ذلك التَّوكيد.

دلالة التَّعبير بالنَّوء مادةً وصيغةً:

بيانٌ لضخامةِ الأحمالِ، وعظيمِ ما أوتي الهالكُ من الكنوزِ والأموال

أصل النَّوء: النُّهوض بالحِمْل مُثْقَلًا في جَهْدٍ ومشقَّة. وناء به الحِمْلُ إذا أماله لثِقَله[1]. ومعناه المحوريُّ: انجذاب الشَّيء إلى أسفلَ بضغطٍ من ثِقَله[2]. وأمّا قوله تعالى: ﴿لَتَنُوأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ فأحسن ما قيل فيه أنَّ المعنى: أنَّ المفاتح لَتُثْنِي العصبةَ؛ أي: تُميلُهم بثِقَلِها، فلمّا انفتحت التّاء دخلت الباء. كما قالوا: هو يذهب بالبؤس ومُذهِبُ البؤسِ. فصار ﴿لَتَنُوأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ فجعل العصبة تنوء؛ أي: تنهض متثاقلةً؛ كقولك: قُمْ بنا؛ أي: اجعلنا نقوم[3]. قال أبو عبيدة: هذا من المقلوب، والمعنى: لتنوءُ بها العصبةُ؛ أي: تنهض بها متثاقلةً، وقيل: يجوز أن لا يكون هناك قَلْبٌ لأنَّ المفاتح تنهضُ مُلابِسَةً للعُصبة إذا نهضت العُصْبةُ بها[4]. وقد جاء هذا التَّعبير؛ لبيان ضخامة ما أوتي قارون من الكنوز والأموال.

معنى الباء ودلالتها في ﴿بِٱلْعُصْبَةِ﴾:

الباء للإلصاق والملابسة، لبيان شدَّة ثقل مفاتح الكنوز

الأصل في معنى (الباء) أنَّه موضوع للدَّلالة على الإلصاق، حقيقيًّا كان أم مجازيًّا[5]. والباء في قوله تعالى: ﴿بِٱلْعُصْبَةِ﴾ للتَّعدية[6]، وقد أفادت معنى الإلصاق والملابسة؛ أي: أنَّها تَثْقُل

(1) الجوهريّ، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (نوأ).
(2) محمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (نوأ).
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 312.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 317.
(5) سِيبَوَيْهِ، الكتاب: 4/ 217، والزَّمَخْشَريّ، المُفَصَّل، ص: 381، وابن يعيش، شرح المُفَصَّل: 4/ 474، والسّامُرّائيّ، معاني النّحو: 3/ 19.
(6) الآلوسيّ، روح لمعاني: 10/ 317.

على العُصبة الّذين يحملونها، فهي لشدَّة ثِقَلِها يَصْعُبُ حَمْلُها، فلا يحملونها ويَنْهَضونَ بها إلّا بِجُهدٍ ومَشَقَّةٍ مَعَ أنَّ حَمَلَتَها عُصْبةٌ أولو قوَّةٍ[1]. وأُسْنِد ﴿لَتَنُوٓأُ﴾ إلى (المفاتح) والمراد إسنادُه إلى العُصْبة، لأنَّ العُصْبةَ مُستصحِبَةٌ المفاتحَ، لا تستصحِبُها المفاتحُ، وفائدتُه المبالغة بجعْلِ المفاتحِ كأنَّها مَسْتَتْبَعَةٌ لِلْعُصْبةِ القَويَّة بِثِقَلِها[2].

نكتة وصف العصبة:

جاء وصف العُصبة بـ﴿أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ﴾ وهم الجماعة القويَّة الشّابَّة المتكاثرة؛ لبيان أنَّ خزائن قارون كانت من الضَّخامة بمكان[3]؛ ممّا يتطلَّب عددًا من الرِّجال الّذين يُعْرَفون بالقوَّة البدنيَّة الفائقة؛ إذْ لم يكن يَقْدِرُ على حَمْلِها العصبةُ مِنْ ذوي الشِّدَّة والبأس إلّا بالجَهد والمَشَقَّة. فما الظَّنُّ بغيرهم ممَّن هم دونهم؟!

الوصف لتخصيص الموصوف بمعناه، ودفع احتمال أيِّ معنًى سواه

معنى (أل) ودلالتها في: ﴿ٱلْقُوَّةِ﴾:

(أل) في قوله: ﴿ٱلْقُوَّةِ﴾ هي العهديَّة الذِّهنيَّة؛ حيث إنَّ صوَرَ القوَّة تتنوَّع؛ فهناك القوَّة العقليَّة، والقوَّة الإيمانيَّة، والقوَّة البدنيَّة، وهذه الأخيرة هي المقصودة والمعهودة هنا بدلالة قوله تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾، والنَّوء: النُّهوض بالشَّيء مُثقلًا في مشقَّة وجَهْدٍ، والمفاتحُ ممّا يُحمَل.

المقصود بالقوة القوَّة البدنيَّة

عِلَّة الفصل عن سابقه:

فُصِل قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ عن سابقه؛ لأنَّ جملة ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ﴾ جاءت حائِلَةً بين قوله تعالى: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾، ومُتَعَلَّقِه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾؛ فلو عُطِفَتْ لتوُهِّمَ أنَّها معطوفةٌ على ما قبلها؛ فَبَيْنَ الجُمْلَتين شِبْهُ كمالِ انْقِطاعٍ.

الفصل لإزالة التَّوهُّم والإلباس

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 177.
(2) الزَّرْكَشيّ، البرهان في علوم القرآن: 3/ 288.
(3) الهلالَ، التّريّ الجامع: 20/ 114.

معنى ﴿إِذْ﴾ ودلالتها في ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾:

المـراد بيان واقـع القصة لا إيضاح وقتها وظرفها

﴿إِذْ﴾ ظرف منصوب بفعل ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾، والمقصود مِن هذا الظَّرف القصَّة، وليس القصد به توقيت البَغْي؛ ولذلك قدَّره بعضُ المفسِّرين متعلِّقًا بـ(اذكر) محذوفًا. وهو المعنيُّ في نظائره مِن القصص[1].

معنى اللّام ودلالتها في ﴿لَهُۥ﴾ ونكتة تعدية فعل القول بها:

الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأصل في معنى (اللّام) أنَّه موضوع للدَّلالة على الاختصاص. إمّا بالملكية أو بغيرها[2]، واللّام في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ﴾ للاختصاص الّذي يفيد الاستحقاق؛ يعني أنَّ قارون لمّا بغى على قومه بما آتاه اللّه من القوَّة والمال، كان مستَحِقًّا لنوع من النُّصح يُختَصُّ به؛ ليَرْتَدِعَ ويَزْدَجِر. وأمّا تعدية فعل القول باللّام فَلإفادة إيصال هذا القول إلى مسامع قارون، وتبليغ هذا القول إيّاه، فلم تكن هذه المقالة بين القوم سرًّا، بل أعلنوا بها، وبلَّغوها لقارون؛ أمرًا له بالمعروف ونهيًا له عن المنكر حسبةً للّه تعالى.

نكتةُ مجيءِ الفاعلِ اسمَ جَمْعٍ مُضافًا إلى ضميرِ قارونَ:

شِدَّة بغي قارون حَـتَّـى اضْـطَـرَّ أقـارِبُـهُ لِـنَـهْـيِـهِ ونُصْحِهِ وذَمِّه

جاء الفاعل اسمَ جمعٍ مضافًا إلى ضمير قارون في قوله: ﴿قَوْمُهُۥ﴾؛ إشارةً إلى تناهي بغيه بافتخاره وكبره على أقاربه الّذين جرت العادة ألّا يُغْضِبَ كلامُهم ولا يُحمَلَ إلّا على النُّصح والشَّفقة، وقد ساغَتْ نسبة القول للكلِّ وإن كان القائلُ بعضَهم - بدليل ما يأتي بَعْدُ مِن تمنّي الجاهلين مكانَه - إمّا لأنَّ السّاكِتَ معدودٌ في القائلين، إذْ إنَّ السُّكوتَ علامةُ الرِّضا، وهو أمرٌ معروفٌ لا يُنْكِرُه أحدٌ، وإمّا لأنَّ أهلَ الخير همُ النّاس، ومَن عداهم عَدَم[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 177، والبِقاعيّ، نظم الدُّرَر: 14/ 351.
(2) سِيبَوَيْهِ، الكتاب: 4/ 217، والزَّمَخْشَريّ، المُفَصَّل، ص: 282، وابن يعيش، شرح المُفَصَّل: 4/ 479، والسّامُرّائيّ، معاني النّحو: 3/ 64.
(3) البِقاعيّ، نظم الدُّرَر: 14/ 351.

معنى ﴿لَا﴾ ودلالتها في ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ﴾:

﴿لَا﴾ في قوله: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ﴾ ناهيةٌ؛ والنَّهي هنا عن الفرح الّذي يكون مصحوبًا بما يُغْضِبُ اللّه سبحانه، فالغَرَضُ مِنْ هذا النَّهْي النُّصحُ والإرشاد؛ فالفرح: انبساطُ النَّفس لأمرٍ يَسُرُّ الإنسانَ، وفَرْقٌ بين أمرٍ يَسُرُّك؛ لأنَّه يُمْتِّعُك، وأمرٍ يَسُرُّك لأنَّه يَنْفَعُك، فالمتعةُ غيرُ المنفعةِ أيْ: لا تَبْطَرْ! والفرح بالدُّنيا مذموم مطلقًا لأنَّه نتيجة حبّها والرِّضا بها والذُّهول عن ذهابها، فإنَّ العِلْم بأنَّ ما فيها مِن اللَّذة مُفارَقٌ لا محالة يوجِب التَّرحَ لا الفرحَ، كما قيل:

أشدُّ الغَمِّ عِندي في سُرورٍ *** تَيَقَّنَ عنه صاحبُه انتقالا[1]

الفرح بالدُّنيا مذموم مطلقًا؛ لأنَّه نتيجة حبّها والرِّضا بها والذُّهول عن ذهابها

نكتة فصل تذييل الآية:

فُصِلَ قولُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ عن سابقه؛ لأنَّه تعليل لما قبله؛ فَبَيْنَ الجملتين شِبهُ كمالِ اتّصال على طريقة الاستئناف الابتدائيِّ، فكأنَّ سائلًا سأل: لماذا نُهي قارون عن أن يفرح؟ فجاء الجواب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾؛ أي: الأشِرين البَطِرين، فعُلِّل النَّهي ها هنا بكونه مانعًا من محبَّة اللّه تعالى. وكفى بها من عقوبة ومغبَّة[2]! فإنَّما يَفْرَحُ بإقبال الدُّنيا عليه مَنِ اطْمأنَّ إليها وغَفَلَ عن أمر الآخرة، وأمّا مَنْ عَلِمَ أنَّه مُفارقٌ زَهْرةَ الدُّنيا عن قريبٍ فإنَّه لا يفرح بها[3].

من شأن الاستئناف البيانيّ أن يُفصَل عن سابقه، وأن يمهِّد للاحقه

نكتة توكيد الجملة:

جاء توكيد الجملة بـ﴿إِنَّ﴾ في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾؛ اهتمامًا بالخبر، وتنزيلًا لقارون منزلة الشّاكّ أو المنكِر، وتأكيدًا أنَّ فرحه بما أوتي من حُطام الدُّنيا يدلُّ على سُفولِ همَّته؛ فإنَّ الفرح بالعَرَض الزّائل يدلُّ على الرُّكون إليه، وذلك يدلُّ على

التَّوكيد لإزالة الشَّكِّ والإنكار مِمَّنْ سَفَلَتْ هِمَّتُهُ، وجَهِلَ عَواقِبَ طَيْشِهِ

(1) المتنبي، ديوانه، ص: 140.
(2) البَيْضاوِيّ، أنوار التّنزيل: 4/ 185.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 324.

نسيان الآخرة، وعلى غاية الجهل والطَّيش وقلَّة التَّأمُّل للعواقب، فيجرُّ إلى المرح، ويُسرع إلى الهلاك[1].

سرُّ إيثار التَّعبير بلفظ الألوهيَّة دون الرُّبوبيَّة:

إنَّ التَّعبيرَ بالألوهيَّة لأمرٍ متعلِّقٍ بأفعال العباد لا بأفعال الرَّبِّ

جاء التَّعبير بلفظ الألوهيَّة دون الرُّبوبيَّة هنا لأجل معنًى دقيقٍ، وهو أنَّ الألوهيَّةَ متعلقةٌ بأفعال العباد الّتي يجب إفرادُه سبحانَه بها، كالتَّوحيد والإخلاص والصَّلاة والدُّعاء والخوف والرَّجاء والتَّوكُّل والاستعانة... إلخ، أما الرُّبوبيَّة فهي مُتَعَلِّقَةٌ بأفعالِ الرَّبِّ في الأمور الكونيَّة؛ كالخَلْقِ، والرِّزْقِ، والإحْياء، والإماتة... إلخ.

وقارونُ إذْ لمْ يُصَرِّحْ عَمَّنْ أعطاه هذا الخيرَ؛ الّذي لم يُنْكِرْ أنَّه أوْتِيَه، إنَّما نَسَبَهُ لاستحقاقٍ يَدَّعيه، بسببِ عِلْمٍ عنده، فَضَيَّعَ حَقَّ اللّه فيه غيرَ عابئٍ بعقابِه؛ فإنَّه لمّا كان كلُّ ذلك منه كان كَمَنْ كَفَرَ بعبادة اللّه تعالى، فنُصِحَ بضرورةِ الالتفاتِ إلى معاني العبوديَّة للّه بالبدن والمال، فقيل له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾؛ أي: الّذي خَلَقَنا لأجْلِ أنْ نعبدَه ونطيعَه ونَنْسِبَ الفضلَ إليه بصريح اللَّفظ وواضح الاعترافِ ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ الّذين يُلْهيهمُ الفَرَحُ بالعطاءِ عن المُعْطي، ويَشْغَلُهُم حُبُّ النِّعْمَةِ عنِ المُنْعِم.

معنى ﴿لَا﴾ ودلالتها في ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾:

نفي المحبَّة عن الفرحين تعاليًا وكِبْرًا وأشَرًا وبَطَرًا

﴿لَا﴾ في قوله: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ نافيةٌ؛ لا تنفي محبَّة اللّه لكلِّ أنواعِ الفرحين، فسياقُ الآية وحديثُها عن نوع الفرحين الّذين تَنْتَفي عنهم محبَّةُ اللّه يَدُلّانِ دلالةً واضحةً على ذلك، فَنَفْيُ محبّةِ اللّه هنا يَخُصُّ الفرحين تعاليًا وكِبْرًا وأشَرًا وبَطَرًا، وهُمُ الّذين تعلَّقَتْ قلوبُهم بالدُّنيا، واطمأنّوا بها؛ ونَسوا حَقَّ اللّه فيما آتاهم، ونَسَبوا الفضلَ لِأنْفُسِهم.

(1) البِقاعيّ، نظم الدُّرَر: 14/ 351.

نكتة التَّعبير بالمسند الفعليّ:

تقوية الحكم ومزيدُ توكيده

جاء التَّعبير بالمسند الفعليّ في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾؛ ليُفيدَ التَّقديمُ تقويةَ الحكم عن طريق تكرار الإسناد، فإنَّ جملة الخبر ﴿لَا يُحِبُّ﴾ مُسنَدةٌ إلى لفظ الجلال ﴿ٱللَّهَ﴾، وفي الفعل ﴿يُحِبُّ﴾ ضميرٌ يعود أيضًا على لفظ الجلال ﴿ٱللَّهَ﴾، وإعادة الإسناد تقويةٌ للخبر وتوكيدٌ له بعد توكيده بـ﴿إِنَّ﴾[1].

بلاغة التَّعبير بالفرح عن التَّكبُّر في الآية الكريمة:

ذِكر السَّبب المُفضي إلى التَّكبُّر، الملهي عن الاعتبار والتَّدبُّر

أوثِرَ التَّعبير بالفرح عن التَّكبُّر في الآية الكريمة من حيثُ إنَّ الفرح بمتاع الدُّنيا وملذّاتها وشهواتها مفضٍ إلى الانشغال بها عن أمر الآخرة[2]، والتَّمادي في ذلك يُخرِج الآخرةَ بالكُلِّيَّة مِن قلب المفتون بالدُّنيا، حتى يقسو قلبُه فلا يعرف معروفًا ولا يُنكر منكرًا، فيسري التَّكبُّر إليه، وينضح من جنبيه. فكأنَّ التَّعبير بالفرح هنا تعبيرٌ بالسَّبب المُفضي إلى التَّكبُّر، وبيانٌ لِما تنشرح به قلوب عُبّاد الدُّنيا، فيفرحون بالمَنْح، ويسخطون عند المَنْع.

معنى (أل) ودلالتها في: ﴿ٱلۡفَرِحِينَ﴾:

إشارة لقُبح فَرح قارون بالمتاع الدَّنيّ

جاءت (أل) في قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ للدَّلالة على العهد الذِّكريّ، حيث ذكر سبحانه في الآية الكريمة نوع الفرحين الّذين يدخلون في حُكْم الله فيهم وهو نَفْيُ المحبَّةِ عنهم في قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾، وهم الّذين يفرحون بالدُّنيا، وتتعلَّق قلوبهم بها كما فعل قارون.

دلالة مجيء لفظ ﴿ٱلۡفَرِحِينَ﴾ على بناء المبالغة:

الإشارة إلى مبالغة قارون في حبّ دنياه، والتَّكبُّر على قومه وذوي قرباه

جاءت كلمة ﴿ٱلۡفَرِحِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ على وزن (فَعِل)، وهي من صيغ المبالغة مع الإشارة

(1) حسن طبل، عِلْمُ المَعاني، ص: 125.
(2) المَراغِيّ، تفسير القرآن: 20/ 93.

إلى تعليل النَّهي، فالجملة عِلَّةٌ للَّتي قبلها، والمبالغة في الفرح تقتضي شدَّة الإقبال على ما يُفْرَحُ به، وتَسْتَلْزِمُ الإعراضَ عن غيره، فصار النَّهي عن شدَّة الفرح رمزًا إلى الإعراض عن الجدِّ والواجب في ذلك[1].

نكتة حذف متعلَّق الفرح:

الفرح بلذّات الدُّنيا تسبب له بالإعراض عن رِضَى الله والعمل للآخرة

حذف المتعلّق بالفرح لدلالة المقام عليه؛ إذ المعنى: لا تفرح بلذّات الدُّنيا مُعرِضًا عن رِضَى الله والعمل للآخرة، كما أفصح عنه قوله: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾، وقد أُشير إلى بيان المقصود تعضيدًا لدلالة المقام بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾[2].

علَّة وصل الآية بسابقتها:

التَّوسُّط بين الكمالَيْن، والتَّكامل بين الموعظتَيْن

وُصِلَ قوله: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾ بما قبله لما بينهما مِن التَّوسُّط بين الكمالَيْن (كمال الاتّصال وكمال الانقطاع)، فالجملتان مُتَّحدتان في الإنشائيَّة، مُتَّصلتان في المعنى؛ إذْ إنَّ الثّانية هي بقيَّة موعظة أولي العلم لقارون، فلمّا نهَوْه عن فرح المتكبّرين المفضي إلى نسيان الآخرة في الأولى، عطفوا على ذلك أمرَهم له بالعمل للآخرة. وهذه المغايرة مع وجود التَّلاؤم الفكريّ والتَّرابط المعنويّ بين الجملتين ممّا حسَّن الوصل بينهما.

معنى الأمر وغرضه في قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ﴾:

الأمر للنُّصح والإرشاد بالإكثار من الحسنات استعدادًا للمعاد

الغرض من الأمر في قوله: ﴿وَٱبۡتَغِ﴾ النُّصح والإرشاد، والحثُّ على استعمال ما وهبه الله من هذا المال الجزيل، والنِّعمة الطّائلة في طاعة ربِّه، والتَّقرُّب إليه بأنواع القربات الّتي يحصل له بها الثَّواب في الدُّنيا والآخرة[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 178.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 178.
(3) المَراغيّ، تفسير القرآن: 20/ 94.

معنى (في) ودلالتها في ﴿فِيمَآ﴾:

بيان ما للفقراء في المـــال من أحقِّيَّة

الأصل في معنى (في) أنَّه موضوع للدَّلالة على الظَّرفيَّة والوعاء، مكانيَّةً أو زمانيَّةً، حقيقيَّةً أو مجازيَّةً[1]. وهو في قوله: ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰكَ﴾ للظَّرفيَّة المجازيَّة؛ للدَّلالة على أنَّ ناصحي قارونَ من قومه كانوا يريدون أن يتغلغل في قلبه ونفسه ابتغاؤه الدّارَ الآخرةَ فيما آتاه الله من أموال، وما حباه من كنوز، بحيث ينظر حقَّ الله في كلِّ درهم. فالظَّرفيَّة هنا كالّتي في قوله تعالى: ﴿وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ﴾ [النساء: 5]؛ أي: منها، أي: اطلب بكنوزك أسباب حصول الثَّواب بالإنفاق منها في سبيل الله وما أوجبَه ورغَّبَ فيه من القربان ووجوه البرِّ[2].

معنى (ما) ودلالتها في ﴿فِيمَآ﴾:

تنـوُّع الـدَّلالات بحسب تعـدُّد التَّوجيهات

(ما) في قوله: ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰكَ﴾ تحتمل المصدريَّة أو الموصوليّة أو الوصفيّة[3]، فعلى تأويل المصدريَّة يكون المعنى: اطلب في رزق الله تعالى لك الجنَّةَ. وعلى تأويل الموصوليَّة يكون المعنى: واطلب في المال الّذي رزقك الله إيّاه الجنَّةَ. وعلى تأويل الوصفيّة يكون المعنى: اطلب في شيء عظيم آتاك الله إيّاه من المال الجنَّةَ. فالأوَّل منظور فيه إلى عموم الرِّزق، والثّاني منظور فيه إلى خصوص المال، والثّالث منظور فيه إلى عِظَم هذا المال وكثرته ممّا يجعله أهلًا لأنْ يوسَّع على النّاس به، وأن يُنفَقَ عليهم منه.

سرُّ التَّعبير بالإيتاء دون الإعطاء:

الإعطاء تملُّك لا يتبعه استلاب، بخلاف الإيتاء الّذي تُذهِبه نقمة ربِّ الأرباب

الإيتاء أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله؛ لأنَّ الإعطاء له مطاوع، يقال: أعطاني فعطوت، ولا يقال في الإيتاء: آتاني فأتوت، وإنَّما يقال: آتاني فأخذت، والفعل الّذي له مطاوع أضعف في إثبات

(1) سِيبَوَيْهِ، الكتاب: 4/ 226، والزَّمَخْشَريّ، المُفَصَّل، ص: 381، وابن يعيش، شرح المُفَصَّل: 4/ 471، والسّامُرّائيّ، معاني النّحْو: 3/ 57.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 178.

(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 374، والدرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه: 7/ 112.

مفعوله من الّذي لا مطاوع له؛ لأنَّك تقول: قطعته فانقطع، فيدلُّ على أنَّ فعل الفاعل كان موقوفًا على قبول المحلِّ، لولاه لما ثبت المفعول؛ ولهذا يصحُّ: قطعته فما انقطع، ولا يصحُّ فيما لا مطاوع له ذلك، فلا يجوز أن يقال: ضربته فانضرب، أو ما انضرب، ولا قتلته فانقتل، أو ما انقتل؛ لأنَّ هذه الأفعال إذا صدرت من الفاعل ثبت لها المفعول في المحلِّ، والفاعل مستقلٌّ بالأفعال الّتي لا مطاوع لها، فالإيتاء - إذًا - أقوى من الإعطاء[1]. وفي الإعطاء دليل التَّملُّك دون الإيتاء[2]. فقوله: ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰكَ﴾ إشارة إلى أنَّ هذا المُلك العظيم قد يُسلَبُه قارون في أيِّ لحظة إن لم يرعَ حقَّ الله تعالى فيه؛ فلذلك أوثر التَّعبير بالإيتاء دون الإعطاء.

معنى (أل) ودلالتها في ﴿ٱلدَّارَ﴾:

(أل) عهديَّة، يُراد بها الجنَّة

(أل) في قوله تعالى: ﴿ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾ عهديَّة، والمراد بها: الجنَّة، فالمراد بقوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾؛ أي: اطلب فيما أعطاك الله من الدُّنيا الدّار الآخرةَ وهي الجنَّة، فإنَّ مِن واجب المؤمن أن يصرف الدُّنيا فيما ينفعه في الآخرة لا في التَّجبُّر والبغي[3].

نكتة ذِكر الدّار مع ما في لفظ ﴿ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾ من غُنية:

في التَّعبير بالدّار معنى الإقامة والاستقرار

الدّار: المنزل، سُمِّيت دارًا لدوران أهلها بها، أو لدورانها هي على أهلها وإحاطتها بهم اعتبارًا بدورانها الّذي لها بالحائط[4]. وهذه الإحاطة والإحداق بما فيها هو أصل معناها[5]. وجاء ذِكر الدّار قبل قوله: ﴿ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾؛ لبيان أنَّ الآخرة فيها مقام وقرار؛ فهي المنزل

(1) الزَّرْكَشيّ، البرهان في علوم القرآن: 4/ 85.
(2) العسكريّ، الفروق 86.
(3) الماورديّ، النُّكَت والعيون: 4/ 267، والقُرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 314.
(4) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحُفّاظ: (دور).
(5) ابن فارس، المقاييس، ومحمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (دور).

الّذي لا منزل بعده، فكأنَّ القوم أرادوا أن يُنبّهوا قارون إلى أنَّ ما فرح به من المال وبَغَى به على قومه مآلُه إلى زوال واضمحلال، وأن الآخرة هي دار القرار.

بلاغة الكناية:

الكِنايَة وصفٌ لِلجَنَّةِ تذكيرًا بِنَعيمِها، وتَحذيرًا مِنْ خُسرانِها

قوله تعالى: ﴿ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾ كناية عن موصوف؛ حيث إنَّ المقصود بالدّار الآخرة: الجنَّة كما تقدَّم، ووصف الجنَّة بأنَّها ﴿ٱلدَّارَ﴾ لما فيها من القرار والإحاطة، ووصف الدّار بأنَّها ﴿ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾ للدَّلالة على أنَّه لا غاية بعدها، ذلك أنَّ المفتونين بالدُّنيا ينسون الآخرة حتَّى يجحدوها بالكُلِّيَّة، كما قال صاحب الجنَّتين: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾ [الكهف: 35 - 36]، فنهى أولو العِلم قارونَ عن ذلك عن طريق تذكيره بالجنَّة.

علَّة وصل بين ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ﴾:

التَّوسُّط بين الكمالين، والتَّرابط بين المعنيين

وُصِل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ﴾ بسابقه لأنَّ بينهما توسُّطًا بين الكمالَيْن، وليس ثَمَّ ما يدعو إلى الفصل بينهما. وقد حسَّن الوصلَ هنا ما بين الجملتين الكريمتين من التَّرابط المعنويّ، فبعد أن أُمِرَ قارونُ بطلب الآخرة والعمل لها، وكان "ذلك شديد المشقَّة على النُّفوس مع ما فيه مِن شائبة الاتِّهام قالوا: ﴿وَلَا تَنسَ﴾؛ أي: تترك تَرْكَ النّاسي ﴿نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ الذي هو المَنْسيُّ، بل استعمِلِ المباحات مِنَ المآكل والملابس والمناكح والمساكن وما يلائمها، ولكن ليكنْ استعمالُكَ لذلك - كما دلَّ عليه السِّياق - مِن غير إسرافٍ ولا مَخيلَةٍ توجب ترك الاتِّصاف بالإنصاف"[1]. فجملة: ﴿وَلَا تَنسَ﴾ في محلِّ نصب معطوفة على جملة مقول القول ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾؛ إذ هي التي في محلِّ نصب مقول القول[2]. وقيل: إنَّ

(1) البِقاعيّ، نظم الدُّرَر: 14/ 352.

(2) محمود صافي، الجدول: 10/ 293، والدرّة، تفسير القرآن وإعرابه: 7/ 112.

قوله: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾ جملة معترِضة بين الجملتين الحافَّتَيْن بها، والواو اعتراضيَّة[1]؛ لئلّا يُظَنَّ بالنّاصِحين أنَّهم ينهون عن المباحات، أو يُضَيِّقون الواسعات.

معنى النَّهي وغرضه في ﴿وَلَا تَنسَ﴾:

النَّهي للإباحة، لاستعمال الملذّات المباحة

النَّهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ﴾ مستعمَلٌ في الإباحة؛ أي: لا نلومك على أن تأخذ نصيبك من الدُّنيا، بل استعمِل كل المباحات. وبذلك تكون هذه الآية مثالًا لاستعمال صيغة النَّهي لمعنى الإباحة[2].

بلاغة الكناية في قوله ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ﴾:

النِّسيان كناية عن التَّرك والإهمال، فلا ينبغي نسيان حظِّ النَّفس مِن المال

النِّسيان في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ﴾ كناية عن التَّرك[3]؛ أي: لا "تترُكْ تَرْكَ النّاسي ﴿نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾ تَرْكَ المنسيّ"[4]؛ "أي: خذ مع هذا من دنياك ما لا بدَّ لك منه في معاشك؛ فإنَّك غير ملوم على ذلك، فهو كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ٢٩﴾ [الإسراء: 29]"[5].

نكتة إضافة النَّصيب إلى ضمير المخاطَب في ﴿نَصِيبَكَ﴾:

حق التصرف بالنعم بضوابط شرع الله

النَّصيب: الحظُّ والقِسط، وهو (فعيل) من النَّصْب؛ لأنَّ ما يُعطَى لأحد يُنْصَب له ويميَّز، وإضافة النَّصيب إلى ضمير قارون في ﴿نَصِيبَكَ﴾ دالَّة على أنَّه حقُّه، وأنَّ للمرء الانتفاعَ بماله في ما يلائمه في الدُّنيا بضوابط شرع الله خاصَّة ممّا ليس من القُربات ولم يكن حرامًا[6].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 178.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 179.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 179.
(4) البِقاعيّ، نظم الدُّرَر: 14/ 352.
(5) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 8/ 57.
(6) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 8/ 57.

بلاغة الاحتراس في الآية:

الاحـــــتراس لـعـدم الـنُّـفـور مِـــن المـوعـظـة والوصيَّة

جاء الاحتراس في الموعظة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ خشية نفور الموعوظ مِن موعظة الواعظ؛ لأنَّهم لمّا قالوا لقارون: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾ خافوا أن يَظُنَّ قارونُ أنَّهم أرادوا منه أن يترك حظوظ الدُّنيا فلا يَسْتَعْمِلُ مالَه إلّا في القُربات، فأفادوه - بما لهم مِن العِلم - أنَّ له استعمالَ بعضِه في ما هو متمحِّضٌ لنعيم الدُّنيا - إذا آتى حقَّ الله في أمواله - فيأخذ ما أحلَّ الله له[1].

معنى ﴿مِنَ﴾ ودلالتها في ﴿مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾:

(مِن) للتَّبعيض (تبعيضِ بعضِ النَّعيم)، وفيها معنى الابتداء

الأصل في معنى ﴿مِنَ﴾ أنَّه موضوع للدَّلالة على ابتداء الغاية[2]. وهو في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ للتَّبعيض. والمراد بالدُّنيا: نعيمها، فالمعنى: لا تترك نصيبَك الّذي هو بعضُ نعيم الدُّنيا[3]. ومعنى الابتداء ملحوظ فيه أيضًا، إذْ إنَّه جعل عدمَ نسيانِ النَّصيب مبتدئًا من الدُّنيا، ولم يأتِ على آخرها، فهو بعضٌ منها إذ لم يأتِ على جميعها.

بلاغة الطِّباق بين ﴿ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾، و﴿ٱلدُّنۡيَاۖ﴾:

أوثِرَتِ المطابقة؛ إظهارًا للمعنى وإبرازًا لِلْمُفارَقَة

جاء طباق الإيجاب بين قوله تعالى: ﴿ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾، و﴿ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ محسّنًا بديعيًّا معنويًّا؛ لتوضيح المعنى وإبراز المفارقة حيث الضِّدُّ يُظهِر حُسنَه الضِّدُّ، وحصرًا لدارَي العملِ والجزاء.

عِلَّة وصْلِ ﴿وَأَحۡسِن﴾:

توكيد القصد في الإنفاق والاستمتاع

وُصِل قوله تعالى: ﴿وَأَحۡسِن﴾ بسابقه لما بينهما من التَّوسُّط بين كمال الاتِّصال وكمال الانقطاع، مع عدم وجود داع للفصل بينهما. وممّا حسَّنَ الوصلَ هنا وجودُ تغايرٍ بين الجملتين مع تكاملهما

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 179.
(2) سِيبَوَيْهِ، الكتاب: 4/ 224، والزَّمَخْشَريّ، المُفَصَّل، ص: 379، وابن يعيش، شرح المُفَصَّل: 4/ 459، والسّامُرّائيّ، معاني النّحْو: 3/ 75.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 179.

وترابطهما وتآزرهما في أداء المعنى، حيث إنَّ الجملة الأولى فيها نَهْيٌ عن أن يَنسى العبدُ نصيبَه من الدُّنيا، والجملة الثّانية فيها أمرٌ غرضُه الحثُّ على إحسان العمل. فلا يُفَرِّطُ في التَّمتُّع بالدُّنيا بدعوى عدم تَرْكِ النَّصيب، ولا يُفَرِّطُ في تَرْكِ حقوق ذوي الحقوق.

معنى الأمر في ﴿وَأَحۡسِن﴾:

الأمـر للنُّصح والإرشـاد، بـالإرفـاق والإحـسـان إلى العباد

الغرض مِن الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَحۡسِن﴾ هو النُّصح والحثُّ والإرشاد؛ أي: وأحسن إلى النّاس بالصَّدقة، كما أحسن اللّه إليك بهذه الأموال الكثيرة، ولا تلتمس ما حرَّم اللّه عليك من الفساد في الأرض والبغي على قومك.

بلاغة التَّشبيه في ﴿كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ ومعناه:

أفاد التَّشبيه أن يكون الشُّكر على كـلِّ نِعـمة مِن جنسها

الكاف في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ للتَّشبيه، أي: كإحسان اللّه إليك، والمشبَّه هو الإحسان المأخوذ من (أَحْسِنْ) أي: إحسانًا شبيهًا بإحسان اللّه إليك، وأفاد التَّشبيه هنا أن يكون الشُّكر على كلِّ نعمة مِن جنسها. فقد شاع بين النُّحاة تسمية هذه الكاف كافَ التَّعليل، ومثلُها قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ [البقرة: 198]، والتَّحقيق أنَّ التَّعليل حاصل من معنى التَّشبيه وليس معنىً مستقلًّا من معاني الكاف[1]. وفي معنى: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ ثلاثة أقوال: **أحدها:** أعْطِ فضلَ مالِك كما زادكَ اللّهُ من هذا المال أكثر من قدر حاجتك، **والثّاني:** أحسِن فيما افترضَ اللّه عليك كما أحسن سبحانه في إنعامه إليك، وأما **الثّالث:** أحسِن في طلب الحلال كما أحسن اللّه إليك في الإحلال[2].

معنى ما ودلالتها في ﴿كَمَآ﴾:

الـدعـوة إلى التَّشبُّه بإحسان ربِّ البريَّة

(ما) في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ مصدريَّة، والفعل

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 179.
(2) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 3/ 393.

بعدها في تأويل مصدر في محلِّ جرٍّ بالكاف، والجارُّ والمجرور متعلِّقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف، يقع مفعولًا مطلقًا، والتَّقدير: (أحسن إحسانًا كائنًا مثلَ إحسان الله تعالى إليك)[1].

دلالة التَّعبير بالماضي:

إحسان الله مؤكَّدٌ قديمُ التحقيق

أفاد التَّعبير بالماضي في قوله: ﴿أَحۡسَنَ﴾ معنى التَّحقيق، لتأكيد أنَّ إحسان الله تعالى لقارون سابق دائمًا لزمن التَّكلُّم، فهو إحسان دائم متَّصل، ومَن كانت هذه حاله فالأولى به أن يكون محسنًا عارفًا لله تعالى حقَّه. وأمّا مَن لم يكن كذلك فقد استحقَّ كلَّ مذمَّة وعذاب.

نكتة تعدية فعل الإحسان بـ(إلى):

جَعْلُ قارونَ كالغاية الّتي انتهى إليها الإحسان، للدَّلالة على عظيم فضل الله عليه

الأصل في معنى (إلى) أنَّه موضوع للدَّلالة على انتهاء الغاية[2]. و(إلى) في قوله: ﴿كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ يفيد أنّ قارون جُعِلَ كالغاية الّتي انتهى إليها الإحسان الصّادر من الله تعالى، ممّا يدلُّ على كمال نعمة الله سبحانه على قارون، حيث بلَغتْه وانتهتْ إليه دون أنْ تَقْصُرَ عنه. فما له لا يوصِلُ حقوقَ الفقراءِ إليهم؛ بل بخل بها وبغى عليهم؟!!

نكتة حذف متعلَّق الإحسان الأوَّل وإثباته في الثّاني:

الحذفُ لتَعْميم عَدَمِ حُصولِ أيِّ نَوعِ إحسانٍ منْ قارون لأحد

حُذف متعلَّق الإحسان في قوله تعالى: ﴿وَأَحۡسِن﴾؛ لتعميم ما يحسن إليه، فيشمل ذلك نفسَه وقومَه ودوابَّه ومخلوقاتِ الله الدّاخلة في دائرة التَّمكُّن من الإحسان إليها. وفي الحديث: «إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيء»[3]. فالإحسان في كلِّ شيء بحسبه، والإحسان لكلِّ شيء بما يناسبه، حتَّى الأذى المأذونِ فيه فبقدره،

(1) الدُّرّة، تفسير القرآن وإعرابه: 7/ 113.

(2) سِيبَوَيْهِ، الكتاب: 4/ 230، والزَّمَخْشَريّ، المُفَصَّل، ص: 380، وابن يعيش، شرح المُفَصَّل: 4/ 463، والسّامُرّائِيّ، معاني النّحْو: 3/ 16.

(3) أخرجه مسلمٌ من حديث شدّادِ بنِ أوسٍ ﷺ، كتابُ الصَّيد والذَّبائح وما يؤكل من الحيوان، حديث رقم: (1955).

وفي العموم يكون الإحسان بحُسْنِ القول، وطلاقة الوجه، وحُسن اللِّقاء[1]. وفي هذا الحذف الدّالِّ على التَّعميم دَلالة على أنَّ عموم الإحسان من قارونَ لم يحصلْ، فلا هو أحْسَنَ إلى نَفْسِه، ولا إلى قومِه، ولا إلى ناصِحيه!

علَّة وصل ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ﴾ بسابقه:

الـتَّـوسُّـط بين الـكـمـالَـيـنِ، والـتَّرابـط بين المعنيَينِ

وُصِل قوله: ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ﴾ بسابقه؛ لما بين الجملتين السّاميَتَيْنِ من التَّوسُّط بين الكمالَيْنِ: (كمال الاتِّصال، وكمال الانقطاع)، وقد حسَّن وصلَها بسابقتها ما بينهما من المغايرة مع وجود التَّلاؤم الفكريّ، والتَّرابط المعنويّ، مع اتِّحادهما في الإنشائيَّة، حيث أفاد عطف النَّهي عن الفساد على الأمر بالإحسان التَّحذيرَ من خلط الإحسان بالفساد؛ فإنَّ الفساد ضدُّ الإحسان، فالأمر بالإحسان يقتضي النَّهيَ عن الفساد، وإنَّما نصَّ عليه لأنَّه لمّا تعدَّدت موارد الإحسان والإساءة فقد يغيب عن الذِّهن أنَّ الإساءة إلى شيء مع الإحسان إلى أشياءَ لا يُعَدُّ إحسانًا[2].

معنى النَّهي وغرضه ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ﴾:

مـن عـصى الله فـقـد طـلـب في الأرض الفساد

النَّهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ﴾ للنُّصح والإرشاد، وهو "نهيٌ عن الاستمرار على ما هو عليه من الظُّلم والبغي"[3]؛ أي: ولا تتمادَ في غيِّك وظُلمك في الأرض حتى لا تعرِّض نفسك للعذاب والهلاك. فقد أخبر سبحانه في مطلع الآية أنَّ قارونَ بغى على قومه بماله وبما آتاه الله من القوَّة، ولمّا كانت النَّفس مِن شأنها - إن لم تُزمَّ بزمام الشَّرع - الإسرافُ والإجحافُ، قالوا: ﴿وَلَا تَبۡغِ﴾؛ أي: لا يكن مرادك ﴿ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ بتقتير أو تبذير، أو تَكَبُّرٍ على عباد الله أو تحقير[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 179.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 180.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 319.
(4) البِقاعيّ، نظم الدُّرَر: 14/ 353.

بلاغة الجناس النّاقص:

تأثيرٌ في السَّمع مِنْ جَمال جَرْسِ اللَّفظَين مع اخْتلافِ المَعنيَين

بين قوله: ﴿وَٱبۡتَغِ﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَبۡغِ﴾ جناس ناقص، حيث تضمَّنت اللَّفظتان الحروفَ نفسَها، لكن لمّا تغيَّر ترتيب الباء والتّاء في ﴿وَٱبۡتَغِ﴾، و﴿وَلَا تَبۡغِ﴾ كان الجناس ناقصًا. وقد أحدث هذا الجناس جَرْسًا لا تخطئه الأذُن، وتأثيرًا في السَّمع مِنْ جَمال جَرْسِ اللَّفظَين مع جَذْبِ السّامع وتَشْويقِه لمعرفَةِ اخْتلافِ المَعْنيَين، وقد أشار هذان المعنيانِ لهذيَن اللَّفظَين المُتشابهَين بتقاربِ حروفِهما إلى أنَّ الطَّلب إن لم يكن في مرضاة الله تعالى فهو فساد في الأرض كبير.

فائدة ترتيب المأمور به والمنهيّ عنه:

الحثِ على الإصلاح والزَّجر عن الكبائر

جاء ترتيب الأوامر والنَّواهي في نصيحة أولي العلم على هذا النَّحو: النَّهي عن عدم الفرح بَطَرًا: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ﴾. ثم الأمر بطلب الجنَّة والعملُ للفوز بها: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾، ثم النَّهي عن ترك التَّمتُّع بالمباح ممّا أحلَّه الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾، ثم الأمر بالإحسان عمومًا: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾، ثم النَّهي عن الفساد في الأرض بالبَغْي والمعاصي: ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾.

فهذا "ممّا وصَّى به أهلُ الصَّلاح والتَّقوى مِن قوم موسى عليه السلام قارونَ، هذا الّذي استبدَّ به العُجْبُ بماله، واستغواه الغَيُّ، بما ضَمَّتْ يده عليه من سلطان بهذا المال. فهُم يدعونه إلى أن يسلك بهذا المالِ الطَّريقَ الّذي تُحمَد عواقبه، وتتمُّ به تلك النِّعمة. وقد نصحوا له ألّا يستبدَّ به الفرح بما مَلَكَ، وفي ذلك إيقاظٌ له مِن سَكرَة هذا المال، حتَّى إذا صحا دَعَوْه إلى ما ينبغي أن يَسوسَ به مالَه هذا، فيطلبَ به رضا الله، ويُقَدِّمَ منه ما ينفعُه في الآخرة، ويأخذَ منه ما يُصْلِحُ به شؤون دنياه، فيجمعَ بذلك خَيْرَيِ الدُّنيا والآخرة جميعًا. وأن يُحسنَ وينفقَ في وجوه الخير، مثلَ ما أَحْسَنَ الله إليه، فَيَلْقَى إحسانَ الله

بالإحسان إلى عباد الله، فذلك هو زكاة هذه النِّعمة، وألّا يتَّخذ مِن هذا المال أداةً للفساد والإفساد"[1]. "فقد جُمِع في هذا الوعظ ما لو قُبِل لم يكن عليه مزيدٌ"[2].

وقد جاء تساوُقُ النَّهي والأمر في نسق بديع بحيث يُعَقَّب كلُّ نهي بأمر، ولو قُدِّر قبل النَّهي الأوَّل أمر بضِّده؛ أي: تواضَعْ ولا تفرحْ لكان كُلُّ أمر جاء متلوًّا بنهي يناسبه، وهو حسَنٌ أيضًا، فإنَّ الأمر المقدَّر بالتَّواضع يعقبُه النَّهي عن ضدِّه وهو الفرح بَطَرًا، والأمر بطلب الدّار الآخرة يعقبُه النَّهي عن تَرْكِ حظِّ النَّفس من الدُّنيا، والأمر بالإحسان العامّ يعقبُه النَّهي عن ضِدِّه وهو الإفساد في الأرض.

وثَمَّ مَلْمَحٌ آخَرُ، وهو أنَّ الفرح بالباطل بطرًا يُشغِل بالدُّنيا عن طلب الآخرة، وإنَّ نسيان الدّار الآخرة يقسّي القلب، فَيُجَرِّئُ صاحبَه على الإفساد في الأرض. فهو شرٌّ يجرُّ إلى شرٍّ منه.

وإنَّ التَّواضع والإخبات يذكِّر بالآخرة، وتذكُّر الآخرة يدفع إلى العمل الصّالح استعدادًا لها، وهذا يلزم منه الإحسان العامُّ إلى النَّفس والأهل والنّاس أجمعين، فهو خَيرٌ يُرَقِّي إلى خير منه. فلله دَرُّ التَّنزيل الجليل!

معنى (أل) ودلالتها في: ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ﴾:

(أل) في قوله تعالى: ﴿ٱلۡفَسَادَ﴾ هي الّتي لاستغراق أفراد الجنس، فيشمل قولُه: ﴿ٱلۡفَسَادَ﴾ كلَّ أنواع الفساد من المعاصي والآثام والظُّلم والبغي، ويدخل هذا الأخير فيه دُخولًا أوَّليًّا لأنَّه تقدَّم في قوله تعالى: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾.

(أل) لاستغراقِ جِنْسِ الفَسادِ، والبَغْيُ أوَّلُها

بلاغة الطِّباق بين الإحسان والفساد:

جاء طِباق الإيجاب بين الإحسان والفساد في قوله تعالى:

(1) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 10/ 385.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 25/ 15.

﴿وَأَحۡسِن﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ﴾؛ لتوضيح المعنى عن طريق إبراز المفارقة بين الضِّدَّين، فبضِدِّها تتميَّز الأشياء.

معنى ﴿فِي﴾ ودلالتها في ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾:

كأنَّ الأرضَ كلَّها كانت وعاءً لبَغْيِ قارون

الأصل في معنى ﴿فِي﴾ أنَّه موضوع للدَّلالة على الظَّرفيَّة والوعاء، مكانيَّة أو زمانيَّة، حقيقيَّة أو مجازيَّة[1]. وقوله تعالى: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ تفيد معنى الظَّرفيَّة المكانيَّة؛ فكأنَّ قارون جعل الأرضَ ظرفًا لإيقاع بغيه وفساده داخلَه.

معنى (أل) ودلالتها في ﴿ٱلۡأَرۡضِۖ﴾:

النهي عن التباهي بالنعم واستخدامها للإفساد في الأرض

(أل) في قوله تعالى: ﴿ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ هي العهديَّة، والعهد فيها عهد حضوريٌّ، والمعنى: لا تُرِد أرضَك هذه الّتي تعيش فيها، وفيها دارُك وخزائنُ كنوزك وقومُك - بأذى، ولا توْقِعْ عليهم مِن ظُلمِك، ولا تستفزَّهم ببَطَرِكَ وزَهْوِك. فلا تكنْ مِمَّن يقال فيه: «بئس أخو العشيرة»[2]، فالمراد بالأرض "أرضُهم الّتي هُم حالّون بها، وإذ قد كانت جزءًا مِن الكُرَة الأرضيَّة فالإفسادُ فيها إفسادٌ مظروفٌ في عموم الأرض"[3].

علَّة فصل عبارة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ عن سابقه:

من شأن الاستئناف الابتدائيّ أن يُفصَل عن سابقه، ويمهِّد للاحقه

فُصل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ عن سابقه كونه استئنافًا بيانيًّا ناشئًا عن سؤال مقدَّر، فكأنَّ سائلًا قال: ما علَّة نهي قارون عن الفساد؟ فجاء الجواب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ فهذه هي علَّة النَّهي عن الإفساد؛ لأنَّ العمل الّذي لا يحبُّه الله تعالى لا يَجوزُ لعبادِه عملُه، فقارون - وإنْ بدا أنّه كان

(1) سِيبَوَيْهِ، الكتاب: 4/ 226، والزَّمَخْشَريّ، المُفَصَّل، ص: 381، وابن يعيش، شرح المُفَصَّل: 4/ 471، والسّامُرّائيّ، معاني النّحو: 3/ 57.

(2) جزء من حديثٍ متَّفقٍ عليه، أخرجه البخاريُّ برقم: (6054)، ومسلمٌ برقم: (2591). من حديث أمِّ المؤمنين عائشةَ ﵂.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 180.

موحِّدًا على دين بني إسرائيل - إلّا أنّه كان شاكًّا في صدق مواعيد موسى عليه السلام وفي تشريعاته[1].

بلاغة تذييل الآية:

إنَّ الإفساد المحض في الدُّنيا من حيث إنّها دنيا مذموم على الإطلاق

التَّذييل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ حُسن تعليل؛ حيث إنَّ الإفساد المحض في الدُّنيا من حيث إنّها دنيا مذموم على الإطلاق. وفيه تنفير عن الإفساد بأبلغ صورة عن طريق النَّصِّ بأنَّ الله ﷻ لا يحبُّ المفسدين! وهذه جملة تَصْدَعُ كلَّ قلبٍ حوى ذرَّةً من إيمانٍ! وإنَّ "العمل الّذي لا يحبُّه الله لا يجوز لعباده عملُه"[2].

نكتة توكيد الجملة بـ﴿إِنَّ﴾:

الاهتمام بالخبر اليقين، ونفي شكِّ المتردّدين والمنكِرين

أُكِّد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ اهتمامًا بالخبر، فإنَّ "في نَفْيِ محبَّته تعالى إيّاهم تنبيهًا على أنَّ عدم محبَّته تعالى كافٍ في الزَّجر عمّا نهى عنه، فما بالُك بالبُغض والعقاب؟!"[3]. وأُتي بحرف التَّوكيد - أيضًا - لأنَّ قارون كان إزاءَ نُصحِ النّاصحين مُنكرًا، فحَسُنَ توكيدُ الخبر بأكثرِ من مؤكِّدٍ، كـ﴿إِنَّ﴾، ومجيء المسندِ بصيغة فعلٍ.

سرُّ إيثار التَّعبير بعنوان الألوهيَّة دون الرُّبوبيَّة:

عُبِّر بالألوهيَّة لمناسبة الحديث عن التَّكاليف الشَّرعية

من متعلَّقات الألوهيَّة التَّكاليف الشَّرعيَّة وأعمال المكلَّفين، من صلاة وصيام ومحبَّة وخوف ورجاء... إلخ[4]. فمن ثَمَّ كان من المناسب أن يُعبَّر - في سياق ذِكر محبَّة الله تعالى وما تتعلَّق به من أعمال المكلَّفين - بعنوان الألوهيَّة. ثُمَّ إنَّ التَّعبير بعنوان الألوهيَّة أيضًا جاء مُتَساوِقًا مع ما سبقه، حيث جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾، ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 180.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 180.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 318.
(4) محمد بن إبراهيم الحمد، توحيد الرُّبوبيَّة والألوهيَّة - الفروق بينهما، والتَّأليف فيهما، ص: 14.

ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾، لتنبيه قارون على ما يجب عليه من العمل الّذي كلَّف الله به عباده في أنفسهم وأموالهم.

نكتة التَّعبير بالمسند الفعليّ:

دوام نفي محبَّة الله تعالى للمفسدين الفُجّار

جاء التَّعبير بالمسند الفعليّ في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ لأجل تقوية الحكم، وذلك من حيثُ تكرُّرُ الإسنادِ مرَّتين: إحداهما: بإسناد جملةِ الخبر ﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ إلى المبتدأ ﴿ٱللَّهَ﴾، والأخرى بِعَوْدِ ضمير الفعل ﴿يُحِبُّ﴾ على المبتدأ ﴿ٱللَّهَ﴾. وفي تكرار الإسناد تقوية للحكم وتوكيد لمعناه.

دلالة التَّعبير بالمضارع المنفيّ: ﴿يُحِبُّ﴾:

التَّعبير بالمضارع المنفيِّ: ﴿لَا يُحِبُّ﴾ يفيد استمرار نفي محبَّة الله ﷻ لمَن يبغي الفساد في الأرض. وأنَّ هذه الصفةَ صفةٌ ثابتةٌ لله سبحانه على النَّحو اللّائق به ﷻ.

معنى (أل) ودلالتها في ﴿ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾:

عدم المحبة يشمل كلَّ مفسد وباغ

التَّعريف في ﴿ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ للعهد الذِّكْريّ، حيث ذكر سبحانه في الآية الكريمة أنَّ الفساد المذكور هو الفساد في الأرض بالظُّلم والبغي. ويجوز أن تكون لاستغراق أفراد الجنس لتشمل كلَّ مفسد، أيًّا كان فساده. وهذا أقرب.

دلالة استعمال صيغة اسم الفاعل:

التَّعبير عن سوء الحال، وعظيم قُبْحِ الفِعال

يشتقُّ اسم الفاعل من فعله المضارع المبنيّ للمعلوم، فقوله تعالى: ﴿ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾؛ أي: الّذين يفسدون، حيث تكرَّر وقوع الفعل منهم مرَّة بعد مرَّة حتى صار سجيَّة لهم، فطوي ذِكرُ الزَّمن، وأوثر التَّعبير بالاسم للتَّعبير عن الصِّفة الثّابتة الملازمة للموصوف. وفي هذا تعريض بقارون الّذي تكرَّر منه الفساد، حتى عمَّ البلاد، ورَزَحَ تحت وطْأتِهِ العباد!

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

البَغْي والعُدوان:

في العُدوان تجاوزُ الحّد، وفي البَغْي تجاوزُ الحدِّ مع طلبِ الفسادِ وقصدِه

الباء والغَين والياء أصلان: أحدهما طلبُ الشيء، والثاني جنسٌ من الفساد، والأصل الثاني: قولهم: بَغَى الجُرحُ، إذا ترامَى إلى فساد، ثُمَّ يُشتَقّ من هذا ما بعده، فالبَغيّ: الفاجرة، ومنه أن يَبغيَ الإنسانُ على آخر. ومعنى البَغْي: قَصدُ الفساد، ويقال: فلانٌ يَبغي على النّاس إذا ظلمهم وطلبَ أذاهم. وكلُّ مجاوزةٍ وإفراطٍ على المِقدار الّذي هو حدُّ الشيء بَغْي. وبَغَى: تكبَّر، وذلك لتجاوزه منزلته إلى ما ليس له. ويكون البَغْيُ بمعنى الحسد أيضًا؛ لأنَّ الحاسدَ تجاوزَ ما ليس له. وبَغَى الرَّجلُ علينا بَغيًا: عدلَ عن الحقِّ واستطال، ففي البَغْي: الاستطالة على النّاس، وهذا هو المعنى المراد في قوله ﷻ: ﴿*إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾[1].

والعَين والدّال والحرف المعتلّ أصلٌ واحدٌ ترجع إليه الفروع كلُّها، وهو يدلُّ على تجاوزٍ في الشَّيء وتقدُّم لِما ينبغي أن يُقْتَصَرَ عليه. ويقال في الظُّلْم: قد عدا فلانٌ عُدوانًا، أي: ظَلمَ ظُلمًا جاوزَ فيه القَدْر[2].

وممّا سبق يتبيَّن أنَّ البَغْيَ والعُدوانَ فيهما معنى تجاوزِ الحدّ، ولكنَّ التَّجاوزَ في البَغْي معه طلبُ الفسادِ وقصدُه والتَّرامي إليه[3].

العُصبة والجماعة:

العُصبةُ من ربط شيءٍ بشيء، والجماعةُ من تضامِّ الشَّيء

العين والصّاد والباء أصلٌ صحيح واحدٌ يدلُّ على ربطِ شيءٍ بشيء، والعُصبةُ من هذا الباب، وإنّما سُمّيَت عُصبةً لأنَّها قد عُصِبَت، أي: كأنَّها رُبِط بعضُها ببعض[4].

(1) عبد الجبّار فتحي زيدان، الفروق اللُّغَويّة في القرآن الكريم، ص: 306.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، اللّسان: (عدو).
(3) عبد الجبار فتحي زيدان، الفروق اللُّغَويّة في القرآن الكريم، ص: 305.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عصب).

والجيم والميم والعين أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تضامٍّ الشَّيء، والجَماعةُ من هذا[1].

والعُصبةُ أخصُّ من الجماعة؛ لأنَّها جماعةٌ متعصِّبةٌ متعاضِدة[2]، ومِن أهل اللغة مَن عيَّنَ للعُصبةِ مقدارًا، ولكنَّهم اختلفوا فيه[3].

الفرح والسُّرور والسَّعادة:

الفَرَح: انشراحُ الصَّدرِ بلذَّةٍ عاجلة، وأكثر ما يكون ذلك في اللَّذات البدنيَّة الدُّنيويَّة، ومِن ثَمَّ نُهي عنه في قول الله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾. ولم يُرخَّص في الفرح إلا بما في قوله ﷻ: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: 58]؛ لأنَّه أمرٌ أُخْرَويٌّ، وقوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الروم: 4 - 5][4].

السُّرورُ ما يَنْكَتِمُ من الفرح، والسَّعادةُ ضدُّ الشَّقاوة، والفرَحُ والسُّرور ضِدُّ الحزن

وجِذْر السُّرور أصلٌ يدلُّ على إخفاءِ الشَّيء[5]؛ والسُّرور من هذا الباب؛ لأنَّه ما يَنْكَتِمُ من الفَرَح[6].

والسَّعادةُ: هي معاونةُ الأمور الإلهيَّة للإنسان على نَيل الخير، وضِدُّها الشَّقاوة[7]. أمّا الفَرَح والسُّرور فهُما خِلافُ الحُزن[8].

النَّصيب والحَظُّ:

الفرق الأوَّل بين الحظِّ والنَّصيب أنَّ الحظَّ يكون في القَدْرِ المعلوم، واستُعمِل في قول الله ﷻ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾ [النساء: 11]؛ فدلَّت الآية على أنَّ الحظَّ هو النَّصيبُ المقدَّر[9].

الحظُّ أخَصُّ من النَّصيب

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جمع).
(2) الراغب، المفردات: (عصب).
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 317.
(4) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عُمدة الحُفّاظ: (فرح).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة، ومحمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (سرر).
(6) الراغب، المفردات: (سرر).
(7) الراغب، المفردات: (سعد).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، اللّسان: (فرح)، والجوهريّ، الصّحاح: (سرر).
(9) الراغب، المفردات: (حظظ)، وعبد الجبار فتحي زيدان، الفروق اللُّغَوِيّة في القرآن الكريم، ص: 481، ومحمد ياسين خضر، دقائق الفروق اللُّغَوِيّة، ص: 162.

والفرق الثّاني بينهما أنَّ النَّصيبَ يكون في المحبوب والمكروه؛ يقال: وفّاه اللّهُ نصيبَه من النَّعيم أو من العذاب، ولا يقال حظّه من العذاب إلا على استعارة بعيدة؛ ذلك أنَّ أصلَ الحظِّ هو ما يحظّه اللّهُ تعالى للعبد من الخير، والنَّصيب ما نُصِب للعبد لينالَه سواءٌ كان محبوبًا أو مكروهًا[1].

(1) العسكريّ، الفروق اللُّغَوِيّة، ص: 165.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»